(مأساة)

استيقظت مفزوعة، وألقت نظرة يملؤها الضيق على وجه زوجها النائم في سبات عميق، وتعجبت وهي تسأل نفسها: هل هذا الأصلع البدين الذي ينام كأصحاب الكهف وكليهم هو زوجها؟! ماذا حدث؟ كيف تغيَّرَ حبيبها وفارسها إلى هذا الرجل الذي لا تكاد تعرفه؟ ما زالت تتذكره، وحمرة الخجل تسيطر عليه، وهو يسلمها أول رسائله الغرامية، وكيف كاد قلبه أن يتوقف عندما صرختْ في وجهه، ومزقت كلماته، وطعنته في كبريائه، وكيف كانت تتابعه وهو يغادر وقدماه لا تقوى على حمله، حتى أنها أشفقت عليه وبعد أن ذاب واختفى أخذت تجمع القصاصات في لهفة... أبيات من شعر جاهلي لا تعرف معناه، ولكنها فرحت، وأعادتْ القراءة مرة تلو الأخرى، وانتظرته أن يقوم بمحاولة أخرى لكنه قنع بما ناله من إهانة، فصمت كقبر فرعوني، مما جعلها تخلع رداء الكبرياء وتقوم بالمبادرة، رأته يوما يخرج من باب كافتيريا الجامعة فتلاقتْ أعينهما للحظات، قبل أن يغض الطرف ويسرع الخطا، وكأنها مصابة بالطاعون، فلم تدر إلا أنّها تلفظت باسمه فتوقف وارتسمتْ على وجهه أمارات عدم التصديق فابتسمت... وتزوجا ومرتْ أيام تلو أيام تغير زوجها وكأن أحد الكائنات الفضائية اختطفه، وتم تبديله بنموذج بشري آخر، فالجسدُ النحيل تكدس بالشحم، والشعر الحرير بدأ ينحصر بلا عودة، والصوتُ الرقيق صار كصوت ماكينة ريٍّ قديمة، واليد السخية التي قال فيها الشاعر: ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها، أصبحت مغلولة إلى عنقه.. ارتفع غطيط زوجها فألقتْ نظرة ما باليد حيلة، وذهبت لأحلام أخرى!

وبعد لحظات استيقظ زوجها، واعتدل في جلسته، وامتدت يدهُ إلى كوب الماء بجانبه، وتجرعه على مهل، وكاد أن يعود إلى نومه إلا أنه نظر إلى زوجته في حَنَق، وتساءل كيف تحولت زوجته غصن البانِ إلى شجرة الجميز؟! هذه تذكر كلماته المسروقة من شاعر قديم: تعشقت ظبيًا ناعس الطرف أحورا تغار منه غصون البان إذا مشى.. تذكر في هذه اللحظة الأغنية التي تقول: لو كنت أعلم خاتمتي، ما كنت بدأت.. إنها مأساته الإغريقية وقدره وحظه البائس ولا بد أن يعيشها.. شاء أم أبى فتثاءب وغرق في نوم عميق!